

قبيلة المحس في وسط السودان (1121هـ / 1700م) (دراسة تاريخية تحليلية)

أستاذ مساعد (متعاون) - كلية التربية
جامعة أم درمان الإسلامية

د. علي أحمد عباس محمد

مستخلص:

تناولت هذه الورقة قبائل المحس في وسط السودان (1121هـ / 1700م) تمثلت مشكلة البحث في تحديد وجود المحس في وسط السودان وأسباب الهجرة وزمان وجودهم. وهدف الدراسة إلى معرفة أصل المحس وتاريخهم وإبراز دور قبائل المحس في نشر الإسلام في وسط السودان، وجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالمحس، وتحليل الحقائق وتفسيرها وإعادة تركيبها. ولأغراض هذا البحث تم استخدام المنهج الوصفي التاريخي وتوصلت الورقة إلى عدد من النتائج أهمها المحس وهي قبيلة من القبائل السودانية التي تسكن شمال السودان وهي ذات أصل خزرجي ينتسبوا إلى أبي بن كعب الأنصاري. هاجر المحس من الشمال إلى وسط السودان لعدة أسباب منها عدم الأمان وضيق الأراضي الزراعية. يوصي الباحث الباحثين في التبحر في مجال تاريخ القبائل السودان وذلك بغرض المعرفة والإلمام بعادات وتقاليد القبائل السودانية. وضرورة الاهتمام بالبحث العلمي الذي يهتم بالتراث السوداني.

Almahas tribe in central Sudan (Analytical historical study) (1700 HD/ 1121 AH)

Dr. Ali Ahmed Abbas Mohammed

Abstract:

This paper dealt with the Al-Mahs tribes in central Sudan (1121 AH / 1700 AD). The study aimed to know the origin and history of the mohs and to highlight the role of the mohs tribes in spreading Islam in central Sudan, collecting data and information related to the mohs, and analyzing, interpreting and reconstructing the facts. For the purposes of this research, the historical descriptive approach was used, and the paper reached a number of results, the most important of which is Al-Mahs, which is one of the Sudanese tribes that inhabit northern Sudan. Al-Mahas migrated from the north to central Sudan for several reasons, including insecurity and lack of agricultural land. The researcher recommends researchers to delve into the field of the history of the tribes of Sudan, for the purpose of knowledge and familiarity with the customs and traditions of the Sudanese tribes. And the need to pay attention to scientific research that is concerned with the Sudanese heritage.

المقدمة:

ساهم المحس (وهم من المجموعات الأثنية النوبية) في وسط السودان مساهمة عظيمة في أسلمة وتعريب هذه الأمة العربية - الإفريقية. وقد تعد إقامتهم لأول أبنية وكيانات دائمة في «المدن الثلاثة» (الخرطوم وما حولها) هي البداية الحقيقية لعملية إنشاء مناطق حضرية في السودان. وأفلح قادة المحس الذين عملوا كمستشارين لقادة دولة الفونج في نشر الإسلام على امتداد النيلين الأبيض والأزرق في مجتمعات ظلت مستقرة في هذه المناطق منذ أكثر من خمسة قرون، وعند تلاقهما في الخرطوم أيضاً تهدف هذه الدراسة التي هي نتاج بحث ميداني قمت به في عام 1979-1980م لتجمع الأعمال المنشورة وغير المنشورة عن تاريخ المحس والإسلام من منظور تاريخ إنشاء مناطق حضرية في وادي النيل.

قسمت هذه الدراسة إلى أربعة مباحث أولها تاريخ المحس أما المبحث الثاني منطقة توتي، ويتحدث المبحث الثالث عن بري المحس إبان العهود المسيحية في القرون الوسطى أيضاً إبان حكم الفونج والعبدلاب في وسط قادة التعليم الديني في وسط السودان⁽¹⁾ الذين عاشوا في غضون سنوات حكم الفونج والعبدلاب وسناقش ونلخص في المبحث الرابع والأخير كل ما ورد في الأجزاء الثلاثة السالفة المذكورة.

مشكلة البحث:

تحديد وجود المحس في وسط السودان وأسباب الهجرة وزمان وجودهم.

أهداف البحث:

1. معرفة أصل المحس وتاريخهم
2. لإبراز دور قبائل المحس في نشر الإسلام في وسط السودان
3. جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالمحس
4. تحليل الحقائق وتفسيرها وإعادة تركيبها.

أهمية البحث:

تبع أهمية البحث من الدور الذي لعبته قبائل المحس في نشر الإسلام في أواسط السودان وتعمير الخلاوي لترسيخ المبادئ والأخلاق الإسلامية.

أسئلة البحث:

- من هم المحس؟
- هي قبيلة تسكن في شمال السودان يدعوا النسب على قبيلة الخرج.
- متى جاءوا إلى وسط السودان أي الخرطوم؟
- في القرن السادس عشر الميلادي 1121هـ - 1700م
- ولماذا جاءوا؟
- من أجل الزراعة والأراضي الواسعة التي تسقى بالساقية والشادوف.
- من هو أول من هاجر من المحس؟

هم أرباب العقائد وحمد ود أم مريوم وخوجلي أبو الجاز والشيخ إدريس ود الأرباب.

إلى أين هجرتهم؟

هجرتهم الأولى إلى جزيرة توتي.

منهج البحث: وصفي تاريخي.

حدود البحث:

الحدود الزمانية: 1700م.

الحدود المكانية: الخرطوم وسط السودان

الدراسات السابقة:

الكتب التاريخية ودراسات ريتشاد لوبان:

تاريخ المحس:

تعكس المعلومات والبيانات المختلفة المتعلقة بالتاريخ دوماً بعض الحقائق المتصورة والمدركة سلفاً،⁽²⁾ إذ أن عملية جمع هذه المعلومات عادة ما تكون نفسها تميل منحازة إلى جانب تأكيد صلات بين المعلمين من الأقرباء والأسلاف بعيدي الصلة. وقد توافقت عملية تدوين الأنساب مع الحوادث والشخصيات التاريخية، أوفدت هدف إلى (اختراع) صلات مختلفة / وهمية Lictve lies مع اسلاف ذوي مكانة عالية سياسياً واجتماعياً وتصل حتماً كل شجرة نسب إلى نقطة يصعب أو يستحيل معها تحديد مدى صحتها، حتى وإن توافقت مع حقائق تاريخية معلومة، وهذا مما يجعل المرء يشك في أن ذلك النسب إما هل هو حقيقي محض تليفق. ويقال منذ ما يزيد على 500 عام وهي قبيلة ذات أصل انصاري⁽³⁾ خزرجي وقد اشتهرت قبيلة المحس بأنها منارة لنشر العلم الديني في وسط السودان منذ قرون وبنوا الخلاوي لتعليم القرآن قبل 400 عام.

المحس في التاريخ:

عرف المحس في تاريخ النوبة منذ نحو حوالي 500 عام.⁽⁴⁾ وهاجر النوبة لخارج مناطقهم منذ قديم الزمان للعمل كجنود أو خدم أو عمال وإداريين، إلا أننا نتناول هنا تاريخ المحس بعد انتشار الإسلام في الممالك المسيحية لشمال السودان، وبعد أن هاجر النوبة لوسط السودان واستقروا فيه مع بداية القرن السادس عشر. ولا شك في أن دراسة نوازع وجذور هذه الهجرة ضرورية لفهم عمليات دخول الإسلام في السودان وإنشاء مناطق حضرية به. وكذلك يجب أن لا نغفل هنا دور المحس والعبدلاب في حض حلفائهم الفونج في سنار على القيام بهذه المساعي. لا ريب أن النوبة هاجروا من شمال السودان (حيث انعدام الأمان وضيق الأراضي الزراعية) لوسطه⁽⁵⁾ (حيث الأراضي الزراعية الواسعة الخصبة التي تروى بالشادوف أو الساقية). ومما لا شك كان له كذلك الأثر الكبير في امتلاك المحس للأراضي وصار⁽⁶⁾ لهم نفوذ عظيم بالخرطوم وغيرها من المكانة العظيمة التي خلفها لهم علماءهم وسط عربان الأقاليم والخلاوي التي انشاؤها حيث طاب لهم المقام - وقد توافقت مجيئهم مع قيام السلطة الزرقاء، الفتية أولى الحكومات الإسلامية في السودان، وبانتقال عاصمة الفونج إلى سنار وعاصمة العبدلاب إلى قري خلا الجو للمحس وفقهائهم

الذين سكنوا حول النيل وظلوا يتكاثرون ويتوسعون. وكانت جزيرة توتي هي مهجرهم الأول، ومسقط رأس كثير⁽⁷⁾ من الأولياء الصالحين والفقهاء/ الفكياء (جمع فكي؟). وبسبب موقع توتي فإنها غدت فيما بعد مركزا للمناطق الحضرية في وسط المدن الثلاثة. وعند وصول المحس لتلك المناطق وجدوا فيها الرفاعة والجعليين والشايقية والجموعية، والذين كانوا يستخدمون تلك الأراضي للرعي والزراعة والسكن المؤقت. ويزعم المؤرخ والإداري وعالم الآثار البريطاني إيركل أن المحس ابتاعوا أراضي توتي من الجموعية، والذين كانوا قد أزاحوا بدورهم من قبل ذلك من يسمون بـ «العنج»⁽⁸⁾ والذين كانوا يشتغلون بصيد الحيوانات البرية والأسماء. ومع بدايات القرن السادس عشر الميلادي كان المحس قد كونوا لهم مجتمعات مستقرة ومتزايدة العدد، وأسس لبعض تلك المجتمعات الفكياء المشهورين في زمانهم، فكان الواحد منهم يحضر عائلته ويقيم له خلوة لتعليم الصبية وربما مسجدا صغيرا. وعند وفاة ذلك الفكي يقيم له أتباعه من باب التكريم قبة حول قبره، ويدفن حول تلك القبة ثلة من مريديه وأتباعه وأفراد عائلاتهم. وفي القرى الكبيرة يضاف إلى ما سبق ذكره محلات للحرفيين ومكان لسوق أسبوعي لبيع أو تبادل الحيوانات المستأنسة الحية واللحوم والخضروات والمصنوعات اليدوية وغير ذلك من البضائع. وبالإضافة لأول استيطان للمحس في توتي وما حولها فقد استقر المحس أيضا في قرية العيلفون⁽⁹⁾ ويقال أن اسم العيلفون استمد من كلمة الفونج حيث كان اسمها⁽¹⁰⁾ التاريخي العيله فونج وهو من مقطعين، عيلة تعني عبيد، والفونج تعود إلى مملكة الفونج. أما بحسب مرجعية لغة البجا فالكلمة تتكون من مقطعين (إيلا) و(فون) ويعني المقطع الأول من الاسم الأبيض ولكن ليس خالص البياض، بينما يعني المقطع الثاني من الاسم فون فونج عند البجا وذلك لأن حرف العين غير موجود في لغة البجا ليصير الاسم يعبر عن الفونج البيض مما يعني أن هناك فونج سود، وقد يكون ذلك تميزا بين العبدلاب وما تعارف على تسميتهم بالفونج من سلالة عمارة دنقس.

أقام محسي آخر اسمه ؟ Shukayry تجمعا للمحس في بري اللاماب هنالك كتاب كامل بالإنجليزية عنوانه «بري اللاماب» من تأليف هارولد باركلي صدر في عام 1964م.⁽¹¹⁾ ومن بعد ذلك أقيمت بري المحس في عام 1575م على يد الشيخ حتيك قسومة بين منطقتي المقرن وبري اللاماب، حيث توجد مباني جامعة الخرطوم الآن. وأقام في ذات السنة تقريبا الشيخ إبراهيم بوداني (والمولود في جزيرة توتي) فريق البودناب في بري المحس. وبعد أن استولى البريطانيون والمصريون على السودان في عام 1898م قاموا بتحويل بري المحس من موقعها إلى جهة الشرق حيث موقعها الحالي حتى يمكن للجيش بناء ثكناته في موقعها القديم. وفي تلك السنوات برزت بري أخرى هي بري الدرايسة، وتقع بين بري المحس وبري اللاماب، وأسسها الشيخ شام حريز.⁽¹²⁾ وكانت بري الدرايسة (مثلها مثل بري اللاماب) موطننا أيضا للجموعية ومجموعات عربية أخرى، إضافة للمحس بالطبع. وأنشأ فكياء المحس (ربما مع غيرهم) قرى أخرى منها بري أبو حشيش وحلفاية الملوك والقوز والجيلي والجريف غرب والجريف شرق واسلانج وكرانج وشمبات والكاملين وكاكول والركابية والشقلة وجبل الطينة ومناطق عديدة أخرى

في الجزيرة. ولمجتمع المحس في توتي أهمية خاصة في تاريخ تلك الجزيرة وتاريخ المحس أيضاً، وذلك لأنها أقدم مجموعة محسية تهاجر وتستقر لأكثر من خمسمائة عام في ذات المكان، وهي أكثر المجتمعات ثباتاً في تركيبها السكانية، ولا تزال كل مناطقها السكنية الرئيسية محسية خالصة بلا شريك. وكان نشاط رجال الدين (الفكيا) بتوتي في مجالات نشر الإسلام من أهم عوامل انتشار ذلك الدين في أرجاء السودان في القرن الخامس عشر، وإليهم ينسب السبق في البناء الحضري في الخرطوم. ولا يزال موقع الجزيرة الاستراتيجي المميز يلفت نظر السُيَّاح إلى اليوم.⁽¹³⁾ ولقد لعبت جزيرة توتي دوراً أكبر بكثير من حجمها الصغير نسبياً، حيث خرجت عدداً كبيراً من الفكيا. وفي عهد الخليفة عبد الله كان أمين بيت المال هو (العمدة والتاجر الشهير) أحمد بن علي بر وهو من مواليد تلك الجزيرة. وكانت توتي أيضاً قاعدة للخزانة في المهديّة، وبنيت على أرضها طابيتان في شمال الجزيرة وفي جنوبها لا تزالان موجودتان حتى الآن. وفي غضون سنوات الحكم الثنائي ظل العمدة والتاجر أحمد بن علي بر هو أهم شخصية في توتي. وعين أحد أبناء توتي عضواً في مجلس قيادة "ثورة" مايو ووزيراً في عهد جعفر نميري.

الفكيا المحس في غضون سنوات حكم العبدلاب والفونج وهم الفكيا أرباب العقائد، وشيخ حمد ود أم مريوم وشيخ إدريس ود محمد الأرباب، والفكيا الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم.⁽¹⁴⁾ وما يميز هؤلاء الفكيا (بالإضافة إلى إنجازاتهم التعليمية وشهرتهم الدينية في زمانهم) ومساهماتهم في البناء الحضري، وتأسيسهم لقرى ومدن صغيرة كونت فيما بعد عاصمة السودان بمدنها الثلاثة.

المحس في منطقة توتي:

تعدّ توتي أقدم منطقه في الخرطوم يتواجد بها سكان دون انقطاع تاريخي. ففي وسط الجزيرة به مدينة قديمة تسكنها قبيلة المحس المشهورة في السودان منذ ما يزيد على 500 عام وهي قبيلة ذات أصل أنصاري خزرجي. وقد اشتهرت جزيرة توتي بأنها منارة لنشر العلم الديني في وسط السودان منذ قرون. وقد أسس أهلها مدينة الخرطوم الحالية عندما بنو مكانها الحالي خلوة لتعليم القرآن قبل 400 عام. وقد كانت في ذلك الوقت غابة. ثم توافد الناس طلباً للعلم ونشأت المدينة. وتجمع طريقة سكان توتي في الحياة نمط الحياة في المدينة مع نمط الحياة في القرية، إذ أنهم يحترفون الزراعة ومن أهم المحاصيل الزراعية الليمون والبرتقال والجرجير والمانجو، ويعيشون حياة اجتماعية مترابطة يجمعون إلى ذلك تمتعهم بجميع ميزات المدن بكونهم يسكنون وسط مدينة الخرطوم. ونسبة التعليم في سكان توتي 100% ومنهم كثيرون شغلوا ويشغلون مناصب رفيعة في الدولة ومنهم مشاهير على مستوى السودان والعالم الإسلامي.

تاريخ جزيرة توتي وهجرة المحس (700هـ - 1436هـ):

يقول المؤرخ النسابة المشهورة أحمد ود جميل الله البدري أن تاريخ توتي الإسلامي يبدأ بالقرن السابع الهجري وإن أول من هاجر من دلقو بالولاية الشمالية إلى جزيرة توتي:

1. شرف الدين وهو جد الفروقاب - العامراب - البداناب.
 2. كوباني وهو جد الشيخ خوجلي والخوجلابل - أما المكتاب أبو جنزير.
 3. سعد الله وهو جد السعدلاب - العجيماب - الشكرتاب.
 4. عبود وهو جد العبودية - دار صليح - صوب البيت⁽¹⁵⁾.
- وكانوا يقطعوا الأشجار بطريقة «الدكم» لذا سموا بالمحس الركامة وتعني قطع أفرع الأشجار ومع الإبقاء على أصولها. قطع الأفرع وترك الساق. وزرعوا الذرة الشامية خلال الأشجار. ويرى آخر مغاير لرأي المؤرخ أحمد ود جميل الله يقول «إن تاريخ توتي يبدأ بالفكي أرباب العقائد ولا حياة قبله بجزيرة توتي.

استبعد هذا الرأي تماماً لتناقضه مع الواقع التاريخي لأرباب العقائد وذلك حسب الآتي:
 جاء في كتاب الشيخ محمد نور ود ضيف الله «الطبقات» الذي حققه البروفسيور يوسف فضل ما نصه (وتوفي الشيخ أرباب العقائد 1102هـ ولم يتعرض الكتاب لتاريخ مكان ميلاده». وجاء في كتاب تطور التعليم بجزيرة توتي للاستاذ خوجلي أحمد خوجلي ومضوي عمر سرار ومصطفى النور إبراهيم ما نصه ولد أرباب العقائد بجزيرة توتي 1017م وشابها واشتهر أمره بها⁽¹⁶⁾ ويذكر الأستاذ محمد السيد حسن في مؤلفه كتاب توتي.⁽¹⁷⁾

إن المحس قدموا من الجزيرة العربية عن طريق مصر وعدة قرون استوطنوا شمال السودان وفيما بعد هاجر بعضهم إلى وسط السودان ولجزيرة توتي من بقي منهم في الشمال صار يتحدث بالنوبية ومن هاجر منهم للوسط وتوتيت تحدث بالعربية وفقد اللغة النوبية وأنه عبر التاريخ كانت الحرفة الأساسية للمحس هي التعليم الديني وهذه السمة لا زالت تميز المحس وأهل توتي خاصة الدين. ويقول استاذ خوجلي أحمد خوجلي في كتاب تطور التعليم إن غالبية سكان توتي هم من المحس وهم فروع من عرب الضباينة الذين سكنوا شمال السودان في منطقة النوبة بين الشلالين الثاني والثالث دخلوها مع حملة عبد الله بن السرح في زمن الخليفة عثمان بن عفان لقد اختلط هؤلاء المحس والخزرج من قحطان بن يعرب بسكان المنطقة وتزوجوا وكان الصحابي المعروف سيدنا أبي كعب ولد اسمه (عبادة) رافق هذه الحملة إلى دنقلا ولكنه لم يرجع. بل استقر في بلاد النوبة حيث ولد له ولد وأسماه «سعد» وانجب سعد ولد سماه «محسن» الذي لقب بما حس بسبب انتمائه للمحس ولكن كيف وصل هؤلاء المحس لجزيرة توتي؟! ويذكر كتاب تطوير التعليم في جزيرة توتي أنه في بداية القرن الثامن الهجري نزحت بعض قبائل المحس من مكانها في شمال السودان عن طريق المراكب الشراعية لمناطق أخرى للزراعة ووصلوا لمناطق متفرقة في وسط السوداني منها خور شمبات بأمدمان ومنها جزيرة توتي والعيلفون والبشاقرة إلى المجلس كترانج وحلة بلال بالجزيرة وحلة فضل بريفي رفاعة وفيما بعد أجبرت هجمات المهديية جماعات المحس والسكوت للهجرة إلى أقصى الشمال في الموضع بين وادي حلفا وعلى ضفتي النيل وهم المحس الفريجة⁽¹⁸⁾.

تاريخ مسجد توتي العتيق:

أول من أسس مسجد توتي العتيق هو الفكي موسى بن سليمان بن موسى العتيق وذلك في القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي .. حيث اقتطع الفكي موسى العتيق جزءاً من أرضه الزراعية «الملك الحر» وأنشأ عليها خلوة كبيرة بناها بالحطب والقصب وأقام بها الصلوات الخمس وخصص منها جانباً لحفظ القرآن وتدریس علوم الفقه والتوحيد الشرعية .. ومما يدل على صحة هذه الرواية أن باقي أراضيه ما زالت موجودة بجوار المسجد العتيق وقد توارثها أبناؤه وأحفاده من بعده حتى اليوم.

ساعده في ذلك كل من الفكي عبد الرحمن الكوباني «والد الشيخ خوجلي أبو الجاز» والشيخ أرباب العقائد.

استمر الوضع هكذا ردهاً من الزمن ثم أقام فيها فريضة الجمعة «بحياته» لأول مرة وبحضور كل من الفكي عبد الرحمن الكوباني والشيخ أرباب العقائد وغيرهما كثيرون من أهل المراتب الدينية، هذا وقد أم المصلين لأول العقائد والفكي عبد الرحمن الكوباني⁽¹⁹⁾.

خلوة توتي بالمسجد العتيق:

خلوة توتي من أقدم الخلوي القرآنية بالسودان، إذ يرجع تاريخ تأسيسها إلى هجرة أولاد محمد عجم الأربعة وأخوانهم وذلك في القرن السابع الهجري من منطقة دلغو المحس إلى خور شمبات إلى جزيرة توتي، في عهد الشيخ أرباب العقائد توسعت الخلوة ومأوى وسكن الطلاب بدرجة ملحوظة حتى بلغ عدد طلابها أكثر من 1000 طالب مما اضطر الشيخ أرباب العقائد وطلابه أن يرحلوا إلى بر الخرطوم .

الشيخ أرباب العقائد:

نسبه:

هو أحمد بن علي بن أرباب بن علي بن عون بن صباح بن فلاح بن شرف الدين بن محمد الملقب بعجم بن زائد بن محمد محس الذي تنتسب إليه قبائل «المحس» ويتصل نسبه بالصحابي الجليل أبي بن كعب الخزرجي الانصاري.

ميلاده:

ولد بجزيرة توتي عام 1017 هـ الموافق 1620م وتوفي عام 1102 هـ وعمره (85) عام وعند ولادته كان سلطان الفونج السلطان عدلان⁽²⁰⁾.

«حكم في الفترة من (1605-1612م) وعلى مشيخة قري الشيخ محمد العقيل بن الشيخ⁽²¹⁾ عجيب المانجلك بن الشيخ عبد الله جماع مدة مشيخته من 1608-1648م.

تعليمه:

حفظ القرآن الكريم على والده وهو ابن عشرة سنوات ثم درس المختصر والرسالة وشرح الزرقاني على الموطأ، عك ذلك على يد العالم العلامة الفقيه الشيخ الزين بن الشيخ محمد صغبيرون.

علم العقائد:

أما علم العقائد هو الذي برع فيه حتى عرف بها ولقب بأرباب العقائد فقد تتلمذ على يد الشيخ علي ود بري، وهو من العلماء الزهاد المخلصين وهو من عباد الرحمن الذين تقبلهم الله بقوله ودعا له شيخه المذكور على فريحة فنفعه الله تعالى بعلمه ودرس علم التوحيد، والف فيه كتاب سماه «الجواهر الحسان في تحقيق الإيمان» وهو أول كتاب في عم التوحيد يؤلف في السودان في ذلك الوقت وعرف بلقب «أرباب اخشن» لخشونة أطرافه من كثرة الوضوء أسبغاه على المكاره ومكارم الأخلاق.

مسيرته في التعليم:

انتقل إلى الخرطوم في 1691م ليقم خلوته هناك⁽²²⁾.
أم تلك الخلوة الشهيرة ما لا يقل عن نصف ألف من الحيران، كان نحو ثلاثمائة منهم من صبية النوبة.⁽²³⁾

وكان اتباع الفكي أرباب العقائد ينتمون لقبائل الجموعية، الجعلين وسلطين الفونج).

تلاميذه:

الشيخ خوجلي أبو الجاز - الشيخ فرح ود تكتوك - الشيخ محمد بن ضيف الله صاحب كتاب الطبقات - الشيخ حمد ابن حتيك - الشيخ حمد ود امريوم - الشيخ هارون بن حصي - الشيخ أبو شمال الجامعي الكردفاني وكثيرون غيرهم.

زواجه:

تزوج للمرة الأولى بنت عمه محمد وانجب منها أولاده وهم سيدة علي وبساطي وفرح وحسن وحسين ومدني ومحمد الأمين.⁽²⁴⁾

وزوجته الثانية مقوما بنت علي ود أقرب ابشقر وهو شيخ البشاقرة الرفاعين وانجب منها محمد الأمين المشهور بـ «راجل البشاقرة» وخلفه على خلوته ومسيده بالخرطوم ابنه علي وعاونه على التدريس أحوه الفقيه بساطي وفرح ومن بعدهم الفقيه أرباب بن فرح بن العلامة أرباب العقائد توفي بسنار (1102هـ - 1691م) عمره 85 سنة ودفن في سنار في عهد السلطان بادي الأحمر بن السلطان أونسه الثاني. بري المحس:

الموقع الجغرافي:

تقع بري المحس في شرق الخرطوم للخرطوم . ويحدها حي قاردن سيتي وبيوت اساتذه الجامعة واشلاك البوليس من شرق الشرق ، ومن شمال الشمال مطار الخرطوم الدولي ومن جنوب الجنوب بري الدرايسة، ومن غرب الغرب امتداد ناصر. شرطة ولاية الخرطوم
كما تتميز بري المحس بالموقع الاكثر استراتيجيه بين احياء الخرطوم حيث هي الاقرب لعدد من المرافق الحكومية المهمة في الدولة مثل -
القصر الجمهوري، الوزارات الاتحادية مثل التربية والصحة والماليه والنفط، مطار الخرطوم الدولي ، جامعة الخرطوم ، والقيادة العامة للجيش.

برغم ان هذا الموقع الاستراتيجي جعل بري المحس مستهدفه دائماً من الحكومات بنزع الاراضى التي كان اهالى بري المحس يمتلكونها ومثال لذلك المنطقة التي انشئت فيها حي قاردن سيتي وبيوت اساتذه الجامعة واشلاك البوليس.

الانه في ذات الحين جعل اهالى بري المحس الاكثر احتكاكا بالانجليز والاكثر انفتاحا على حركه الحياة المعاصرة⁽²⁵⁾ وقد كانوا اول من تعلم تعليماً حديثاً متقدماً منذ اوائل القرن الماضي في الخرطوم حيث التحق الكثير من ابناءها بمصالح الدولة وشكلوا مع غيرهم عصب بناء الدولة الحديثة في السودان من الافندية.⁽²⁶⁾ ولذا لم يكن غريباً ان ينخرط ابناءها في العمل الوطني مبكراً ويساهموا في بلورة الوعي. هذا الأمر جعل بري المحس قبلة سكن لكثير من قيادات العمل الوطني منذ قبل الاستقلال وحتى اليوم.

تاريخ بري المحس:⁽²⁷⁾

يرجع تاريخ بري المحس إلى عام 1575م حيث انشأت كقرية صغيرة على يد الشيخ حتيك قسومة بين منطقتي المقرن وبري اللاماب. وأقام في ذات السنة تقريبا الشيخ إبراهيم البداني او إبراهيم ولد توتي البداني (والمولود في جزيرة توتي) فريق البدناب في بري المحس.

التهجير:

هذا وقد تعرضت بري المحس للازاحه الجغرافية والتهجير مرتين التهجير الاول تم في بدايه الحكم التركي المصري حوالي 1830 حيث قام الاتراك بترحيل الاهالي من الموقع قرب القصر الجمهوري الحالي حتى يتسنى بناءه قصرا للحكمدار وحي الحكمداريه إلى المنطقة الحالية لوزاره التربية ومستشفى العيون، التهجير الثاني تم بعد أن استولى البريطانيون والمصريون على السودان في عام 1898م بعد المهديّة وتم فيها ترحيل بري المحس إلى موقعها الحالي حتى يمكن للجيش بناء ثكناته وسلاح الأسلحة في موقعها القديم.

الجدير بالذكر انه خلال فتره المهديه، تشدد الخليفة عبدالله في منع الناس من الهجرة والسكنى في الخرطوم مخافة ان يكون هذا نذر ازاله دولته واعتقادا في امدرمان كبقعه مباركه اختارها المهدي عاصمه له.⁽²⁸⁾

تخطيط الحي وبناءه:

بعد الانتقال للموقع الحالي لبري المحس « قام الانجليز بتخطيطها⁽²⁹⁾ بين العام 1904-1908 تخطيطاً مدنيا حديثاً حتى تكون مسكناً ملائماً لطبقة الافندية الذين اكتسبوا معارف عبر التعليم الحديث. وشمل ذلك انشاء مدرسة أوليه، وشفاخانه، ونادي اجتماعي، ومكتب بريد. خريطة بري المحس ذات شكل شبه مربع بمساحه كليه 330,000 متر مربع. وقد خططت بري المحس بوضع احدى عشرة شارع تتجه من الشرق إلى الغرب تقاطعها ثمانية شوارع تتجه من الشمال للجنوب في ما جملة 90 مربع سكني. وبالرغم من ضيق الشوارع فيها، الا ان التخطيط قد راعى توزيع المربعات السكنية بما حفظ رغبات الاهالي للسكن بجوار الاقارب او الاصدقاء. وقد قام الاهالي بمجهودهم الذاتي ببناء منازلهم.⁽³⁰⁾

الأسر الكبيرة :

كما هو الحال في اي حي قديم، فقد تداخلت عائلات بري المحس بالتزاوج والمصاهرة فيما بينها حتى بات من الصعب ايجاد عائله منفصله فالكل اهل وقرابة.

فمن عوائل بري المحس:

ال حاج احمد وال حاج الأمين وهما اخوان وكانت فيهم شياخة الحلة الادارية زمن الحكم المحلي، وال حاج بابكر وال الفكي الضو (وهما أيضا اخوان)، ال قسومه، الهاشما، ال حريز، ال سري وال احمد صديق، ال الفكي، ال الجرافي وال كبير، ال خليل وال المشرف، آل عبد الرحمن أحمد ال مرحوم وال العوض، وال عبدالقادر وال ابوالريش وال عالم وال الطاهر.

كذلك احفاد شقيقات القاضي محمد خوجلي حتيك ود قسومه الذي كان مفتى الخرطوم في التركية وقد اغتيل عند فترة المهديية، ويعتقد اهل بري المحس ان من رحم شقيقاته الاربعة تشكلت لحمة بري المحس وارتباطهم باسر ممتدة في امدرمان وغيرها ويشمل هذا عوائل ال سوار الذهب (السواراب)،⁽³¹⁾ وال الزرقاني، ال اسحق، ال مختار.⁽³²⁾

معالم حي بري المحس:

المدارس:

أسست أول مدرسة للاولاد بالمنطقة وهي مدرسة بري المحس في عام 1911 خلال الحكم البريطاني، ولذلك هي ثاني مدرسة أولية نظامية حكوميه في السودان بعد مدرسه الخرطوم (التي سميت لاحقاً بمدرسة الخرطوم شرق ونقلت إلى بري المحس بعد بيع الموقع لبنك البركة). كان اول ناظر لمدرسة بري المحس الأولية للاولاد هو الشيخ محمد حمدنا الله من أهالي شمبات. وقد عدل في فترة متأخرة اسم المدرسة لمدرسة الشهيد عبيد حاج الأمين احتفاءً وتكريماً له. كما تم الاحتفال بمئويتها في 2011.

كما انشئت اول مدرسة اوليه للبنات في الخرطوم ببري المحس في العام 1929 وهي مدرسة بري المحس للبنات. وقد اقيمت بمنزل احمد حريز قبل تخصيص الموقع الحالي وتشبيده وهو يقع داخل قلب الحي جوار المسجد مماوفر بيئه اكثر مناسبه لحمايه البنات.⁽³³⁾ كما شهدت بري المحس افتتاح اول روضه بالخرطوم عام 1949، وقد اسستها التربوية الفاضله زينب ياسين على النسق الذي اتخذه معلمها الشيخ بابكر بدري. تحولت هذه المدرسة في فتره لاحقه لمدرسه السلمايي بحي كوريا.

مقابر ود المبارك بروفسور جعفر ميرغني، ندوه عن نشأة بري المحس، 2012، تقع هذه المقابر شمال شرق بري المحس على ضفاف النيل الأزرق بجوار كبري بري (كبري القوات المسلحة). وقد سميت هذه المقابر على شيخ محمد المبارك الذي توفي في حوالي 1860. حيث قبلها كان يدفن اهالي بري المحس موتاهم في مقابر حله حمد عبر نقل الجثمان بالمرابك النيلية عبر النيل الأزرق. ونتيجة لوصيته ان يدفن في قبته تم دفنه فيها، تحولت من بعد لمقابر بري المحس ولذا تعرف بمقابر ود المبارك.⁽³⁴⁾

جامع بري العتيق :

بني جامع بري المحس العتيق اول مره عام 1904 عندما قام بجمع التبرعات الفكي خوجلي من الاهالي ومن اقاربه المحس في باقي مناطق تواجدهم في العاصمة حتى تمكن من جمع المبلغ المطلوب اضيفت للتعويض الذي اعطته الحكومة الإنجليزية وهو 100 جنيه حينها. وقد بنى المسجد من الطوب الأحمر.

في الخمسينات من القرن المنصرم تم اعاده بناءه وتوسعته. وبني خلوة كبيرة تسع عدداً كبيراً من المصلين كانت للصلاة فقط وعند عودة الاحتلال الانجليزي وجددا أنصال الخليفة قامون بتكسير الجامع، طلبوا من الفكي خوجلي عمل منبرة من الطوب لصلاة الجمعة .. فأصبحت بعد ذلك جامعاً ويقال تأسيسه كان في عام (1300هـ - 1882م) ومر بعدة مراحل بعد ذلك حتى أصبح في وضعه ومكانه الحالي.

لقد نشبت كثير من المنازعات الخاصة بملكية هذا المسجد، ولقد كانت هنالك كثير من العرائض تم تقديمها من أطراف النزاع، وايعنا هنا هو الحديث عن المسجد وتاريخه.

من شيوخ بري المحس: (35)

محمد الأمين | العطشان» الشيخ عبد الرحمن حاد أحمد عبد القادر حمد

شخصيات بارزة (بري المحس):

تعتبر بري المحس من الاحياء التي انجبت عدد كبير من الشخصيات البارزة، منها الشهيد عبيد حاج الأمين سكرتير جمعية الاتحاد السوداني واحد قادة اللواء الأبيض التي فجرت ثوره 1924

- الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء ومؤسس المعهد العلمي
- الشيخ محبوب عثمان إسحق قاضي القضاة الاسبق لجمهورية السودان.
- السيد أحمد عثمان إسحق مدير جهاز الاحصاء المركزي اول من سودن الوظيفة.
- الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم نائب رئيس الجمهورية الاسبق وعضو مجلس قيادة
- الرائد أبو القاسم هاشم عضو مجلس قياده الثورة والوزير السابق في عهد مايو 1969م.

- الاستاذ احمد حسن الضو، كبير ياوران القصر الجمهوري في عهد عبود والمحافظ.

- الدكتور سليمان مضوي، كبير اخصائي النساء والتوليد
- الدكتور شيخ إدريس عبد الرحيم، كبير اخصائي الامراض النفسية.
- البروفسور مصطفى حسن اسحق مدير جامعة الخرطوم الاسبق
- الصحفي محمد إبراهيم حتيكاي.

- الحكم الدولي احمد قنديل

- القاص البروفسور مهدي بشرى

- البروفسور سيد حامد حريز

- الفنانة التشكيلية كمالا اسحق

لاعب الفريق القومي وكابتن بري حسبو مرحوم (حسبو الكبير)
اللاعب الدولي محمد احمد بلال (جربان)، وقد لعب سابقا لكل من الوحدة السعودي
واوليمبيك القناة المصري

د. محمد عبد الغفار عثمان علي ، مدير معهد الكليات التكنولوجية سابقا
البروفسور عبد الله الطيب - الفنان محمد وردى - المناضلة فاطمة أجمد إبراهيم،
الموسيقيار د. مكي سيد أحمد⁽³⁶⁾.

قادة التعليم الديني في قبيلة المحس: أولاً: الشيخ حمد ود أمريوم (حلة حمد):

هو الشيخ حمد بن محمد بن علي المشيخي البكري الصديقي، المشهور بأمه «مريم»،
وأُمها محسية مشرفية من بنات ولد قidal الولي، وأبوها ولد كشيح من أولياء أبو نجيلة الذين
تزار قبورهم وهو مسلمي الأصل. ولد الفقيه حمد بجزيره توتي سنة خمسة وخمسين قبل الالف
وحفظ الكتاب علي يد الفقيه أرباب الخشن وقرأ عليه التوحيد، واخذ في خليل ختمتين. وكان أمراً
بالمعروف ناهياً عن المنكر لاتأخذه في الله لومة لائم، مغلظاً علي الملوك فمن دونهم. وكان يقول
اول امري اقوال وثاني امري افعال وثالث امري مقاصد وكان يأمر كل من اتاه وتاب علي يده
ان يصحح توبته بشروطها، وان شروطها : الندم علي مافات من تضييع فرائض الله، كمعرفة الله
والصلاة والصيام والزكاة وغيرها ، والاخلاص فيما يفعل وترك الربا والريا والكبر والحسد والغيبه
والنميمة وان لا يسع بقدميه إلى ما لا يحل له، ولا يسمع بسمعه ما لا يحل له، وينهاهم عن
مخالطة الغصابين (الذين يغصبون امول الناس) واكل طعامهم واكل طعام المستقرين الذمم وسأبين
ذلك بعبارة مطابقة لما قصد فأنا الأقوال فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.⁽³⁷⁾ ويقال هو الشيخ
حمد بن محمد بن علي بن عمر بن الشيخ ماجي بن محمد أبو جديدة بم أحمد الجود بن
حمد بن الشيخ يعقوب بن محمد بن مجلي (المدفون بزرنبخ قرب إسنا) بن جلال الدين بن
محمد بن نوح بن طلحة، بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله
عنه⁽³⁸⁾. ويقال أنه ولد بجزيرة توتي مثل أرباب العقائد 1646م وكان أحد تلاميذ الفكي أرباب
العقائد، ومن اتباع الطريقة القادرية، ومقرباً من الشيخ خوجلي «والذي كانت اخت زوجته هي
أم شيخ حمد». وكذلك اقترنت بنت شيخ خوجلي بقائد الجموعية شيخ عبد المحمود النوفلابين
والذي كثيراً ما كان يلتقي شيخ حمد في المنطقة التي تعرف الآن بأمران. ولأسباب غير معلومة
انتقل شيخ حمد من جزيرة توتي ليستقر في حلة حمد ود أم مريوم على الشاطئ الغربي للنيل
الأبيض. وكما ينسب للفكي أرباب العقائد إنشاء مدينة الخرطوم بع شيخ حمد ود أم مريوم أحد
مؤسسي مدينة أمران. ويحسب تاريخ «طبقات» الفونج فيان القرية التي أسسها كانت هي
المستوطنة المستقرة الوحيدة في تلك السنوات في تلك المنطقة.

إلا أن كل مساهمات الشيخ حمد في التطور الحضري ثم القضاء عليها عندما نشب بينه
وبين جاره الشيخ عبد المحمود أبو شيبه «الولي» العريكي خلاف نتيجته أن أضحت خلوة شيخ

حمد.⁽³⁹⁾ أثراً لحريق مدمر ومن بعد تلك الحادثة دعا شيخ خوجلي صديقه الشيخ حمد ليستقر في منطقة بالخرطوم بحري عرفت باسم «حلة حمد»، والتي ما زالت موجودة في ذات المكان كمعقل للمحس في الخرطوم بحري وبذا تمكن الشيخ حمد من مواصلة التطور الحضري في المدن الثلاثة عند مطلع القرن الثامن عشر.

تعليمه:

حفظ القرآن وقرأ علم التوحيد على يد الشيخ أرباب العقائد بأرباب الخشن، وقرأ مختصر خليل على الشيخ دفع الله العركي والشيخ أحمد باب .. زامله في الدراسة كل من الشيخ خوجلي أبو الجاز والشيخ فرح ود تكتوك والفقيه حمد بن عبد الرحيم والشيخ القرشي الصليحاي كان ورعاً مهاباً متقشفاً عفيفاً ترتسم على قسماته سمات الجلل والوقار والتقوى. لا يأكل إلا من عمل يده كما كان يلبس الجبة المرقعة، أخذ عليه العلم جماعة من المحس منهم الفقيه محمد ود صباحي والفقيه محمد ود ليل والفقيه عبد القادر.⁽⁴⁰⁾ والشيخ فرح ود تكتوك وأولاد عيسى والفقيه محمد ولد زمر وكان أتباعه من النساء أكثر من أتباعه من الرجال وفي عهده وعهد الشيخ خوجلي لم يكن هنالك أمي واحد بجزيرة توتي سواء أكان من الرجال أو النساء شيوخاً وشباباً.

طريقة الصوفية:

هي الطريقة القادرية التي أخذها من الشيخ دفع الله المصويني صلته بالولاة والحكام. كانت صلته بالولاة والحكام واهية فهو لا يذهب إليهم مهما حدث ومع ذلك كانت شفاعة نافذة لديهم علماً بأنه لا يشفع إلا في المظالم.

سلوكه:

كان ﷺ متشدداً في سلوكه صارماً في تطبيقه لأحكام الدين حتى أنه شبه بالإمام مالك رضي الله عنه في تشدده وسيدنا عمر في صرامته، كان يأمر فيممثل لأمره بغير سلطان ويقول ولا يسأل عن دليل ويأتي بالجواب فلا يجروء أحد على مراجعته⁽⁴¹⁾ أقوال معاصريه فيه:

- قال الشيخ حمد ود الترابي أنه كان يعبد الله لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، بل لما يستحقه سبحانه وتعالى من العبادة.
- وقال الشيخ حمد ود الطريقي «العتاء من الله لو كان العطاء بالعمل نحن يا فقراء الجزيرة ما فينا من خدم ود أم مريوم».
- وقال عنه السيد ولد دوليب «أشبهه إلا بعمر بن الخطاب»

الدعوة المستجابة:

كان مستجاب الدعاء عند ربه وما دعى على أحد إلا هلك سريعاً، ودعا على أولاد عجيب والفونج الذين خربوا حلته بأمر درمان وصلوا إلى أبي زريبة هلكوا بالجدري في سنتهم، ودعا حمد بن عبد الجبار والجباراتي «اللهم أجعل ظاهره مثل باطنه فأصابه برص عم جميع جسده».

كراماته:

أكرمه الله به من كرامات المروية والمتداولة كثير ولكن هذه واحدة من الكرامات على سبيل المثال لا الحصر .. كيفية حفظ الفقيه جاد الله حوار الشيخ حمد الوارد اسمه في كتاب الطبقات لود ضيف الله⁽⁴²⁾ جاء جاد الله برفقة أربعة من الصبيات لحفظ القرآن والتفقه⁽⁴³⁾ على يد الشيخ ود أم مريوم وبدأ جاد الله القراءة أ ب ت ث ولم يتعدها وسمي بنور الف، وجاء في صبيحة يوم سوا في الشيخ حمد «عذبة كافوري الآن» وأخطر جاد الله الشيخ على أن صبي الجاية الذي يغطي القواديس قد توفاه الله، فقام جاد الله وظل يعمل بالسواقي حوالي ما يزيد عن أربعة سنوات، وسمي جاد الله أبو شره وكثرة خشونة جسمه وحفظ زملاؤه القرآن وحضر جاد الله كرامة حفظ القرآن وهم الطلبة بالرجوع إلى ديارهم وصحبهم جاد الله ولما وصلوا القوز «قوز الرجاب» كان سوق بحري القديم قالوا لجاد الله يتهكم «نحن يا جاد الله نقول لأهلنا جيناكم ونحن خملة القرآن فماذا يكون قولك لأهلك؟ كنت أملا قواديس الساقية!! فبكي جاد الله بكاء شديداً ورجع إلى شيخه وجلس غاضباً خارج الخلوة فناده شيخه حمد وطيب خاطره.⁽⁴⁴⁾

وكان للشيخ حمد مسجدين الأول في حلة حمد المسجد الحالي والثاني بأمر قرقور شرق الجريف شرق دار السلام المغاربة الحالية.

أبناء وبنات الشيخ حمد ود أم مريوم وأمهااتهم:

- محمد النور، ست النساء، أم كلثوم، مريم، وأمهم آمنة بنت علي بن عمر حمد المكنابي.
- الفقيه محمد المقبول والفقيه الشفيح، خديجة، وجورية، أمهم عائشة بنت سعيد.
- محمد بن حجازي مشيخة من جهة كركوج.
- عاتكة وأمها الحسنة بنت محمد النوفلابي.

وفاة الشيخ حمد ود أم مريوم:

توفي إلى رحمة الله تعالى عام 1142 هجرية الموافق 1733م عن سبع وثمانين سنة ودفن بمقابر نجيلة المشهورة بالخرطوم بحري (مقابر حلة حمد) وبنيت عليه قبة فخمة .
ودفن معه أولاده وأمهااتهم داخل القبة ولم يدف معه أحفاده إلا السيد بن محمد النور والفقيه أبو المعالي بن محمد المقبول صهر الجموعية.⁽⁴⁵⁾

ثانياً: خوجلي أبو الجاز (الخوجلاب):

الشيخ خوجلي بن الشيخ عبد الرحمن (أزرق توتي) (الخوجلاب أي «حلة خوجلي» ذكر الكاتب عبد الوهاب أحمد المدني الصافي أنه ذهب هو أبنه محمد إلى حلة خوجلي بالخرطوم بحري لكي يلتقي معلومات عن سيرة الشيخ خوجلي بن الشيخ عبد الرحمن وتلقها بواسطة خليفته الحالي الخليفة مصطفى بن الخليفة أحمد بن الخليفة الأمين هي خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبو ملاح ولد بدبة (عتار) سمته أمه على الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم بن شيخ النويري وذلك لأنه قالها أقوامها.

أمه حيث ما حملت به جاءها الشيخ عبد الرحمن النويري هذا راكباً على فرس فسلم عليها فرحبت به قائلة إليه إيا خالي أسأل الله أن يعطيني ابناً صالحاً فدعا لها» وفي لحظة الدعاء ارتعشت وارتعش هو وفرسه، وهو من علامات إجابة الدعاء.

سافر الشيخ عبد الرحمن والد الشيخ خوجلي وهو صغير إلى الشيخ ابن عيسى سوار الذهب ليحفظ عليه القرآن الكريم فحفظ عليه وعلمه⁽⁴⁶⁾ أحكامه، ثم سافر إلى شيخ الإسلام على الاجهوري بمصر وقرأ عليه «مختصر خليل» ومنظومته في التوحيد وأجازه فيها. وقيل هذا الشيخ «المولود في توتي في 1065 هـ لفقرا الكيناب في المشرفية ولد بجزيرة توتي في السودان سنة 1065 هـ الموافق 1654 م فهو خوجلي بن عبد الرحمن وأمّه ضوه بنت خوجلي وهي محسية مشرفية ومشرف هو جد المحس وينتهي إلى أبي بن كعب الخزرجي. تنسب مدينة الخوجلاب في السودان إليه وكذلك حلة خوجلي في مدينة الخرطوم بحري حيث يوجد مسجده وخلوته والده عبد الرحمن ولد بدبة عنتر (الخليلة الآن) وسمته أمه على الشيخ عبد الرحمن بن مشيخ النويري لأنه خالها. كما هو أيضاً خال مريم والدة الشيخ حمد ود أم مريم كان ميلاد الشيخ خوجلي ودفن بمقابر شمبات. وبعد وفاة عبد الرحمن تزوج الفكي موسى الضيف والدة الشيخ خوجلي (حنوه) وأنجب منها ابنا وحيداً سماه «عامر» وهو جد العامراب بتوتي وبذا يكون عامر هو أخو الشيخ خوجلي لأمه.⁽⁴⁷⁾

تعليميه:

ودرس القرآن على يد عائشة بنت ود قдал وعلم التصوف على يد أرباب العقائد وتفقه في مختصر خليل على يد الشيخ الزين ولد صغيرون وهو ممن جمع بين التصوف والفقّه، وأخذ علم العقائد من الشيخ علي ود بري.⁽⁴⁸⁾ والشيخ خوجلي حج إلى بيت الله الحرام ومكث فيه تسع سنوات وسلك طريق القوم على يد الشيخ التنبكتاوي القاطن بالحرم المدني.

تصوفه:

عرف الشيخ خوجلي بأنه مزج بين الطريقتين الشاذلية والقادرية ويعتبر الشيخ خوجلي مؤسساً للطريقة الشاذلية بالسودان ومرس لدعائمها كما ورد في كتاب (الشرية في السودان) لمؤلفه عبد العزيز عبد المجيد ... الخ كان الشيخ خوجلي ماوماً على صلاة الجماعة وكان حريصاً على حضور كل تلاميذه للادائها، ومن أشهر ما كان يقرأه من أوراد الشاذلية بعد صلاة العصر - حزب البحر) للشيخ أبي الحسن الشاذلي.⁽⁴⁹⁾ وجد الشيخ خوجلي هو إبراهيم من تلامذة أولاد جابر الذي درس على يد الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم البولاد وأولاد جابر أخوة أربعة هم إبراهيم، عبد الرحمن، إسماعيل، وعبد الرحيم. وأشهرهم إبراهيم الملقب بالبولاد لتضلعه في الفقّه. وأختهم فاطنة بنت جابر كانت تضارعهم في العلم والمعرفة وعلى يدها تخرج كثير من علماء الشايقية ونسائها العالمات، وانجبت الشيخ صغيرون شيخ الشيخ خوجلي في العقائد والتصوف.⁽⁵⁰⁾

كان ميلاد الشيخ خوجلي بعد عشر سنوات من ميلاد الشيخ حمد ود أم مريم وبعد ست سنوات من وفاة الشيخ إدريس ود الأرباب. وقد أدرك الشيخ حمد 5 سنوات من حياة الشيخ

إدريس. والشيخ إدريس خال ضوة والدة الشيخ خوجلي ووالدة الشيخ حمد هي مريم بنت موسى ودكشيب الجعلي المسلمابي العرمانابي وعائشة بنت ود قidal الفقيهة المشهورة وأستاذة الشيخ خوجلي خالتها. إذن فالشيخ خوجلي من جهة أمه محسي ينسب إلى كعب الخزرجي ومن جهة أبيه محسي كباني.

صفاته: كان الشيخ خوجلي مربوع القامة مائلاً إلى القصر، أسمر اللون حتى صار على أسنة الناس (أزرق توتي)، وفي انفه كبر، كثيف اللحية، وكان مهاباً كريماً.

كراماته:

تميز الشيخ خوجلي بكرامات عديدة ذكرت في كتاب الطبقات وتناقلها ابنائه أباً عن جد بصورة مستمرة (هذا الباب يحتاج لإثراء من أحفاد الشيخ خوجلي) ونذكر هنا بعض الكرامات التي ذكرت بكتاب الطبقات لود ضيف الله. نعلم أن الأمة من كل ناحية اقتدت به واتخذته إماماً وانتفعوا بطريقته ومشورته والاستعانة به عند الأمور والمهمات فمن ذلك أن سواقي المحس في توتي بعد العيش ما صار إلى صدر الإنسان ظهرت جزيرة الرمل حالت بين الماء والسواقي فجاءه المحس ووضعوا عنده الطواري والقدايم والفؤس وقالوا له لا يسعنا المقام في هذه البلد أي (الجزيرة خرطوم توتي) بعد فساد زرعنا من عدم الماء فقام معهم وركب على حمار ووضع عصاه في البحر وقال بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ حزب البحر فبوقته هاج البحر وذهبت تلك الجزيرة وملاً البحر أقانين السواقي وثبت الناس في مكانهم ببركته فصارت هذه الكرامة متداولة إلى زماننا الحالي سنة تسع عشر بعد المائتين والألف. وكان عصاه من حديد فما وضعت في موضع قل ماؤه الا ذهب الرمل وهاج فيه الماء فوراً.⁽⁵¹⁾ وقيل أن هناك امرأة اسمها فاطمة بنت عبيد مدحت الشيخ خوجلي أبو الجاز أزرق توتي بهذه الكلمات المسجعة فقالت يا قسم الله جيب البشارة من اللدوه المنبور للزيارة العقلوا له سلاطين الككارة خت النور يمينك وأنا ليك يساره ومنها قيل أن السلطان بكر سلطان كنجارة حين بلغه أن الملك بادى سبه حلف ليدخل سنار يقلع الشجرة ويسد البحر (يقصد النيل الأزرق) لتمشى الخيل عليه فلما تجهز وسار حتى بلغ طرف الدار وبقي على المغارة رأى الشيخ خوجلي وببده عصا وكزه بها في آخر أضلاعه فانتفخت وماتت يده فكان سبب موته لأن سلطان الفونج استغاث به وقال له سلطان فور قادم إلينا ثم أن السلطان بكر كنجارة سأل أولاد البحر وقال لهم جاءني رجل أزرق وعليه قميص أخضر فوكزني بعصا ووصفه لهم كما رآه فقالوا له هذا هو الشيخ خوجلي.⁽⁵²⁾

وفاته:

توفي رحمه الله ضحوة الأحد نهار ثمان عشر جمادى الثانية سنة خمس وخمسين بعد المئة والألف في عهد السلطان بادى أبو شلوخ في عهد السلطنة الزرقاء ومملكة سنار عن عمر بلغ التسعين سنة (90 سنة)، قضى الشيخ خوجلي عمره في القيام بعمل الخير وصالح الأعمال والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وكانت وصيته لأبنائه في آخر حياته بطاعة الله سبحانه وتعالى في كل أمر من أمورهم، وأن يتحدوا مع بعضهم البعض وأهليهم وذويهم وأن يمدوا يد العون. لكل

محتاج واکان يدعو لأبنائه وأحفاده أن يعيشوا حياة وسطاً ليس فيها مظهر الغني ولا مظهر الفقير، ووصى أيضاً أن يحمل جثمانه بالمركب باتجاه الضفة الشرقية قبالة توتي وأن يدفن هناك وقد فعل أبناؤه ذلك ودفن حيث مقامه الحالي الذي عرف فيما بعد بحلة خوجلي بالخرطوم بحري و يقال أنه دفن في نفس المكان الذي كان يتعبد فيه وهو في «غابة كثيفة».

أبناؤه: له 9 أبناء و 4 بنات عن أحمد - محمد - الأمين - يسن - طه - سراج النور - إبراهيم الخليل - محمد نور - يسن - طه. أما البنات فهن الجاز - أم هاني - الرقاقة - هدى. خلفائه: تولى من بعده ابنه الأكبر أحمد بإشارة من أبيه وعليه فترتبت الخلافة:

1. الخليفة أحمد بن الشيخ خوجلي.
2. الخليفة الأمين ابن الشيخ خوجلي.
3. الخليفة يسن ابن الشيخ خوجلي.
4. الخليفة طه بن الشيخ خوجلي.
5. الخليفة محمد نور.
6. الخليفة الأمين بن طه بن الشيخ.
7. الخليفة محمد الأمين بن الشيخ خوجلي.
8. الخليفة أحمد نور الدين بن محمد الأمين بن طه.
9. الخليفة أحمد بن الأمين محمد الأمين طه بن الشيخ خوجلي.
10. الخليفة مصطفى بن أحمد الأمين محمد الأمين بن طه بن الشيخ خوجلي وهو الخليفة الحالي.

مهام الخليفة:

1. الإشراف العام على المسجد والخلاوي والمسجد.
2. نظارة أوقاف الشيخ خوجلي.
3. إمامة المسجد للصلوات الخمس والجمعة والأعياد.
4. الإشراف على إعاشة وإسكان طلاب القرآن وطلاب العلم.
5. تخريج حفظة القرآن الكريم.
6. إكرام زوار المقام والمسجد وإكرام الضيوف في المناسبات.
7. يتأس الخليفة جميع الاجتماعات في كل المناسبات.
8. يحتفظ الخليفة بمجموعة طيبة من وثائق الشيخ خوجلي ألا رحم الله خوجلي بن عبد الرحمن «أبو الجاز» رحمة واسعة.⁽⁵³⁾

ثالثاً: المحسن في العيلفون:

يرجع تاريخ العيلفون إلى ما يقرب الألف سنة حيث كانت هناك قبائل سكنت العيلفون غيرها من القرى والمدن عبر التاريخ النسيج الاجتماعي الذي تمخض عنه السودان الحديث، بالرغم من أن معظم هذا التاريخ الثر مجهول لدى العامة، ويكاد النذر اليسير الذي وصلنا

منه عن طريق الكتابات القلائل المتوارثة قد خضع للتحريف والتدجيل وغلبت عليه العواطف والنزعات الشخصية. وهذا يجعله يحتاج للمراجعة والتدقيق سواء عبر الاستعانة بالمراجع الأجنبية أو الثقافات المحفوظة في الذاكرة والمندولة من السلف إلى الخلف، أو إلى كتب الذين كتبوا بنظرة محايدة أقرب ما للحقيقة. ولكن فقط تحتاج لمن يعيد ترجمتها وتدقيق معلوماتها وإخراجها بصورة جديدة.⁽⁵⁴⁾

إذن التراث الإنساني السوداني حافل بتاريخ المدن؛ أصلها، جذورها، نسيجها، تشكلها، وحجم الدور الذي لعبته في حراك الأحداث وصياغة التاريخ. وبالطبع يتفاوت هذا كماً وحجماً من منطقة لأخرى. ومظاهر الاحتفاء والعشق للوطن الصغير هي بالطبع امتداد طبيعي لحب الوطن الكبير. وفي هذا الإطار قد يجوز للمرء أن يفتخر بوطنه ويعدد مآثره وفوائده ولكن دونما تدليس أو تزوير للتاريخ والحقائق.

صفحات زاهيات من تاريخ مدينة عريقة تزين أضاير الكتب ودور الوثائق ومتاحف التاريخ، عزيزة بعزة أبنائها وشامخة بشموخ رجالها وعنيدة بصلابة مواقفها. أحداث موثقة وأخرى واضحة للعيان لا يزال الكثير منها حياً يعيش ويمشي بين الناس، ليست سرداً تاريخياً فجاً ولا متعاطفاً كالذي نجده في عدد من كتب مؤرخينا السودانين، ولكنه بعض حقائق نكتبها على استحياء، نتجاوز فيها على عجل حاجز الزمان والمكان ونطرق فيه برفق على ما ظل حبيس صدور الرجال وداخل الجدران والغرف المغلقة. تمتطي سفينة الزمن ونعبر الفيافي والصحاري والغابات والأنهار والبحار ونطوي القرون ونحط رحلنا عند مشارف الخرطوم. مدينة جميلة لا تشبه المدن، ونسيج اجتماعي يبدو وكأنه أممودج لا بل حلم تحقق لسودان التلاقح والتمازج والانصهار، وحاضر زاخر بالمجد والرسوخ تَشَكَّلَ عبر القرون وإنداحت بركاته وفيضه الطيب فطال كل القطر (أدباً وفناً وسياسةً وعلماً) فكان أهلها رواداً وحادّة ركب ملأوا الدنيا وشغلوا الناس.

الموقع:

تقع مدينة العيلفون على الضفة الشرقية للنيل الأزرق في اتجاه مصبه على مساحة تقدر بـ 12 كيلومتر مربع، وموضعها عند خط عرض 25، 14 شمالاً وخط طول 25، 32 شرقاً على ارتفاع 1302 قدماً فوق سطح البحر، تحدها شمالاً قرية سوبا شرق التي قامت على أنقاض سوبا القديمة عاصمة مملكة علوة المسيحية التي تبعد عن العيلفون بنحو 6 كيلومترات، وجنوباً يحدها معسكر تدريب سلاح المهندسين على شاطئ النيل الأزرق وقرية الحديدية وشرقاً قرى الفادنية وأم ضوأ بان والسمرّة والكرنوس وغرباً النيل الأزرق في محاذة قرى سوبا غرب ومنطقة بتري. وتبعد العيلفون عن وسط الخرطوم بنحو 30 كلم ويستغرق المشوار على طريق الأسفلت أقل من نصف الساعة تقريباً.

السكان والنسيج القبلي في العيلفون:

يقدر عدد سكان العيلفون بحوالي 25 ألف نسمة ويتشكل النسيج القبلي فيها من قبائل المحس (أحفاد الشيخ إدريس بن محمد الأرباب)، الجعليين، المسلمية، الشايقية، العبدلاب،

الدناقلة، الكواهلة، العسيلات وغيرها من القبائل التي تصاهرت عبر مئات السنين، وبظروف ديموغرافية يندر أن تجد مثلها في جميع المناطق والمدن السودانية الأخرى. فأنتجت واقعاً اجتماعياً وقبلياً جديداً يمكن أن نطلق عليه (قبيلة العيلفون).⁽⁵⁵⁾

الشيخ إدريس بن محمد الأرباب (أبو فرقة) هو الغوث الهمام والبطل الإمام تاج العارفين ومورد الغارفين بحر الشريعة وسدرة منتهى الحقيقة ابن السودان البار وطلسم الحقائق والأسرار أول من أوقد نار الشيخ عبد القادر الجيلاني بالقطر السوداني وعم بجاهه الحر والعاني صاحب العلوم اللدنية والأخلاق البرمكية؛ سبقت له العناية واكتملت له الرعاية؛ ف قيل أن أمه تخيرت ساعة إجابة في ليلة مباركة لتجبل به وإنها عندما وضعت خرج منها في كسوة من الحرير الناعم وآية ذلك شهرته باسم (أب فرقة)؛ كذلك قام والده على تحفيظه كتاب الله باكراً فأدخله مكتب الشيخ البنداري بالحلفاية الذي قال له يظهر لك شأن عظيم ثم انتقل إلى مكتب الشيخ حمد ولد زروق بحلة الصباي فشهد له بجلالة القدر. وبعد ان أتم حفظ كتاب الله تعلقت نفسه بصحبة الصالحين فصحب الشيخ بان النقا الضيرير ودخل معه سنار عاصمة دولة الفنج؛ فاتفق ان أم الملك كانت مريضة فرقى لها الشيخ بان النقاء فلم تشفى وعندما رقى لها الشيخ إدريس شفيت بإذن الله فأعجب به ملك الفنج وتبأ له فكان ذلك أول بدء شهرته رضي الله عنه وأرضاه.⁽⁵⁶⁾

مولده ونسبه الشريف :

ولد رضي الله عنه عام 1507م بالحليلة شوحطت؛ وهو المكان الموسوم الآن بحلة شمبات بالخرطوم بحري؛ لوالدين شريفي النسب؛ حيث أن والده الشيخ محمد الأرباب كان محسباً من قبيلة المحس؛ وهو في ذلك يتصل نسبه بالصحابي الجليل سيدنا أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه رابع أربعة جمعوا القرآن الكريم في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشار إليه في الحديث الشريف بأنه أقرأ الصحابة لكتاب الله؛ فهو محمد(الأرباب) بن علي بن قرين بن قندل بن فلاح بن شرف الدين بن عجم بن محمد بن محسي بن زيد بن أبي بن كعب بن سعد بن قميم بن مرة القرشي. وينتسب الشيخ محمد الأرباب للأشراف من جهة والدته الشريفة أم حسون بنت سيدي الشريف موسى الحاج لقاني فهي شقيقة سيدي الشيخ حسونة والد سيدنا ومولانا سيد الجميع الشيخ حسن ولد حسونة رضي الله عن الجميع.⁽⁵⁷⁾ أما والدة الأستاذ الشيخ إدريس فهي الشريفة فاطمة بنت الشريف حمد أبو دنانة الذي قدم من مراكش عام 1466م؛ وهو صهر الشيخ محمد بن سليمان الجزولي مؤلف (دلائل الخيرات). فهي رضي الله عنها الشريفة فاطمة المرضية الشهيرة باسم (صلحة) بنت حمد(أبودنانة) بن محمد بن احمد بن بكري بن عبد السلام بن داود بن سليمان بن كمال الدين بن جلال الدين بن علي الهادي بن الحسن العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن سيدنا علي وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود والسبب في كل موجود سيد السادات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.⁽⁵⁸⁾

هجرته وتلقيه مدد الطريق القادري:

هاجر رضي الله عنه بعد وفاة والديه من حلفاية الملوكة إلى بلدة العيلفون (جنوب شرق الخرطوم)؛ بنية الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى والتفرغ للعبادة فلبث فيها ما شاء الله له وذلك تأسيساً بالحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في انقطاعه بغار حراء؛ حتى إذا أراد الله بعظيم لطفه شروق شمس سيدي عبد القادر الجيلان على البر السوداني؛ قدر قدوم الشيخ عبد الكافي المغربي بان خرق له ناموسي الزمان والمكان فقدم بخطوة واحدة من بلاد المغرب العربي وأعطى الأستاذ الشيخ إدريس مدد الطريق القادري؛ فاشتهر بذلك وظهرت نفحته وعمت بركته واتسعت نفقته؛ فأوقد نار الشيخ عبد القادر الجيلاني وهي نار تعليم القران الكريم وتدریس الفقه والعلوم الشرعية وإكرام الضيوف وهداية المهتمدين وإرشاد السالكين وتربية المريدين وإيواء ابن السبيل وإطعام الفقراء والمساكين وإعانة المحتاج وصلة القريب ورعاية الغريب؛ فكان رضي الله عنه أول من سن هذه السنن الحميدة بالقطر السوداني فصار قبلة لكل قاصد وموثلاً لكل وافد؛ فكانت له النفقات الجسيمة والهدايا العظيمة؛ فكان يقصده العشام والحكام ويأخذ عنه العلماء والعوام على حد سواء لجلالة قدره وارتفاع ذكره. وقال الشاعر الجاغريو وهو من أحفاد الشيخ إدريس يمدح ويصف كرمه ويصف القدح ذو الهرس بلقبه أبو فركة قائلاً:

نحن أولاد أبو فركة * نقعد نقوم على كيفنا

في لقي في عدم دايمًا مخرف صيفنا

نحن الخرس * بنملاه وبنكرم ضيفنا

نحن الفوق أعدانا دائماً مجرب سيفنا

وقالت والدة الشيخ خوجلي أبو الجاز أسمها حنوه بت خوجلي وهي تدعو لأبنها عندما ولدته: رجوت الله أن يعطيك مثل ما أعطى خالي الشيخ إدريس من الولاية وجلالة القدر. والشيخ إدريس خال والدة خوجلي وبعد وفاته تعاقب على الخلافة أربعة عشر خليفة من أبناءه واحفاده حتى عام 2008م والمفترض أن يكون أول خليفة هو ابنه عركي ولكنه توفي قبل والده وحزن كثيراً عليه وكان يحبه ويدخره للخلافة من بعده.⁽⁵⁹⁾

من ألقابه:

سلطان الأولياء - مفتي دولة الفونج - أبو فركة - العناق بحر العاديك.

ومن أهم مناقبه تحريم التبناك والمقصود به في ذلك الوقت هو (السجائر) أرسل الشيخ تلميذه حمد ود أبو عقرب إلى شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية الشيخ علي الاجهوري وهو من كبار علماء المالكية بمصر يحمل له فتوى الشيخ إدريس في تحريم (التبناك) ولكن شيخ الأزهر أنكر فتوى الشيخ إدريس وسخر منها وقال لمبعوث الشيخ إدري (هل شيخك هذا صحابي، وقبل أن يقدر مبعوث الشيخ إدريس مصر راجعاً للسودان سرعان ما تبين للشيخ علي الاجهوري لمبعوث الشيخ إدريس وأمن على الفتوى وأرسل الشيخ إدريس هدايا تكريماً له وهي عبارة عن قلادة تسمى اليوم بالعيلفون «الأجهورية» وتعتبر أول شهادة أكاديمية يمنحها الأزهر الشريف

لعالم). مع عمامة موجودة الآن لدى خلفاء الشيخ إدريس بالعيلافون أما الحلة فقد أهداها الشيخ إدريس للشيخ صغيرون تكريماً له.

أما ملك سنار فقد وهب للشيخ إدريس نصف ما يملك من أرض مملكته ولكن الشيخ إدريس رفضها بحجة أنها مغصوبة.⁽⁶⁰⁾

الخلفاء الذين تعاقبوا على الشيخ إدريس بعد وفاته أربعة عشر خليفة .

1. حمد بن الشيخ إدريس ود الأرباب.

2. بركات بن حنج.

3. صباحي بن حمد

4. عبد القادر بن الشيخ إدريس

5. عبد الكافي بن حمد.

6. بركات بن مضوي (الملقب بأبو شرا)

7. محمد بن بركات.

8. بركات بن محمد بن بركات

9. حمد بن الفكي محمد.

10. بركات بن حمد.

11. علي بن حمد.

12. أحمد بن علي بن حمج.

13. بركات بن أحمد بن علي.

14. محمد بن بركات وعلي بن بركات.

لهم خلاوى للقرآن لا زالت تواصل رسالتها حتى الآن.

كان في عهد الشيخ إدريس عدد من الأولياء والصالحين الذين أخذوا الطريقة من الشيخ

إدريس هم:

1. الشيخ صغيرون وقد صحب الشيخ إدريس وقد أهداه حلة. الاجهوري.

2. الشيخ الزين صغيرون.

3. أبو القاسم الودباني المسلمي.

4. بدوي أبو دليق.

5. حمودة بن التنقار (الحلفاية).

6. سرحان بن صباحي (الجريف).

7. عبد الحليم بن سلطان بن عبد الرحمن (فاس - المغرب).

8. عبد الله بن حسوية (سوبا شرق).

9. محمد بن قائد الشريف (أكد - البحر الأحمر).

10. دفع الله المصوبين (كان الشيخ إدريس يعتبره كأبنة). وغيرهم الكثير من المشايخ الآن

هؤلاء كانوا أبرز مشايخ ذلك الزمان.⁽⁶¹⁾

قبة الشيخ إدريس ود الأرباب:

بُنيت على قبر الشيخ إدريس ود الأرباب بجوار مسيد الشيخ إدريس بداخل القبة قبر الشيخ إدريس وقبر الخليفة أحمد والخليفة بركات وهو آخر القبور يتم كل يوم اثنين وخميس إقامة ليلة مدائح يذكر فيها بجانب مديح (ﷺ) مناقب الشيخ إدريس وهذه الليالي مستمرة منذ وفاته وحتى الآن وجوار قبة الشيخ إدريس توجد مقابر قديمة دفنت فيها أحفاد الشيخ إدريس خلوة الشيخ إدريس ود الأرباب.⁽⁶²⁾ أول خلوة بالغيلفون وأول من أوقد نار الشيخ عبد القادر الجيلاني وكان طلابها من مختلف أنحاء السودان إلا أن هناك خلوتان بمسيد الشيخ إدريس واحدة يشرف عليها الخليفة محمد ود بركات والثانية يشرف عليها الخليفة علي وبركات وهما تواصلان رسالتها الدينية.⁽⁶³⁾

المسجد:

أول المساجد مسجد الشيخ إدريس ود الأرباب الذي أسس 936هـ وجدده الخليفة بركات عام 1936م والآن تم بناء مسجد حديث وكبير المسجد العتيق كذلك من المساجد القديمة مسجد الختمية والموردة ومسجد النور ومسجد الصف شمال مسجد أم قحف ومسجد الرويخلة ومسجد القطاوي.⁽⁶⁴⁾

وصفه في كتاب الطبقات :

يقول في وصفه الشيخ محمد نور ضيف الله مؤلف كتاب (طبقات أولياء السودان):- (هو الشيخ الإمام حجة الصوفية مرشد السالكين منقذ الهالكين قطب العارفين علم المهتمدين مظهر شمس المعارف بعد غروبها الواصل إلى الله والموصل إليه وهو الشيخ إدريس بن الأرباب. ... وأما علوم المعارف والأسرار فقطب دجاها وشمس ضحاها تقول إذا سمعت كلامه اعرف بخبر السماء من خبر الأرض..نزل عليه الفيض الإلهي والعلم الرباني فتكلم في علوم الأولين والآخريين والأمم الماضية من غير ان ينظر ذلك في كتاب فكان أكابر العلماء يكونون بين يديه كالأطفال...); إلى آخر ما ذكره صاحب كتاب الطبقات إذ ان شخصية الأستاذ الشيخ إدريس من الشخصيات المحورية في كتاب الطبقات كما هي كذلك محورية في تاريخ السودان.

رأبه لصعد الدولة السنارية :

كانت الدولة السنارية تقوم على حلف ثنائي بين الفونج وهم اصحاب الشوكة؛ والعبدلاب وهم اهل العصبية؛ وكانت بين الفريقين عهود وعقود متعارف عليها؛ ولكن بعد مدة رأى كبير العبدلاب الشيخ عجيب المانجلك أن الفونج غيروا من هذه العوائد ولم يلتزموا بها؛ ورأى وجوب الخروج عليهم؛ فاستشار الأستاذ الشيخ إدريس فلم يشر عليه بذلك لأنهم ما زالوا أصحاب شوكة؛ وتنبأ له أن سيقتلوه إذا خرج عليهم؛ ولكن الشيخ عجيب لم يلتفت إلى ذلك وخرج عليهم؛ وتمت المواجهة بين الفريقين بحلة الجريف كركوج وقتل فيها الشيخ عجيب؛ ولذا أبناءه إلى مدينة دنقلة التي كانت قسبة العرب في السودان زمانئذ؛ وعلى ذلك تشتت شمل الدولة الإسلامية الفتية وانفرط عقدها؛ وأصبح الصلح بين الفريقين مستحيلا؛ لولا تلك المكانة السامية التي كان يتمتع بها

الأستاذ الشيخ إدريس بين الفريقيين؛ فقام بنفسه وسافر إلى مدينة دنقلة اقصى شمال البلاد والتقى ابناء الشيخ عجيب وكبيرهم الشيخ عجيل واسترضاهم وذهب بهم الى سنار على ضمانته الشخصية وجدد الحلف مرة اخرى ولم شعث الدولة ورأب صدعها؛ حتى عادت سيرتها الأولى تنشر الإسلام وترعى العلماء والدعاة؛ فمولانا رضي الله عنه هو الحاكم فوق الحاكمين؛ وهو المهتم بمصالح العباد وحامي حوزة الدين؛ في زهد وانصراف لا يبقي شيئاً لنفسه ولا لخاصته؛ وما له من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى⁽⁶⁵⁾.

رابعاً: المحس في البشاقرة شرق:

تقع البشاقرة شرق علي الضفة الشرقية للنيل الأزرق شرق العاصمة الخرطوم بحوالي 70 كيلو متر وتتبع اداريا لولاية الجزيرة رغم أنها تقع خارج نطاق الجزيرة بتعريفها الجغرافي وكذا حال أجزاء كبيرة من منطقة البطانة تتبع لولاية الجزيرة إدارياً وهي تبعد عنها جغرافياً وتختلف عنها ثقافياً وتكاد منطقة البطانة ان تكون ذات سمات ثقافية تختلف الي حد كبير عن أغلب أجزاء الإقليم الأوسط وتتفرد بطبيعتها البدوية والرعية فيما عدا المناطق الواقعة منها علي الضفة الشرقية من النيل الأزرق وبالطبع منها منطقة البشاقرة شرق. يرجع تاريخ البشاقرة شرق الي ما قبل العام 1500 ميلادية حيث تأسست كمنطقة حضرية ماهولة بالسكان في بداية عهد السلطنة الزرقاء. يسكنها خليط من القبائل التي انصهرت وقمازجت حتي ذابت في بعضها البعض تماماً وأصبح الانتماء فقط للبشاقرة وأصبح الجميع أسرة واحدة بفضل التزاوج والتصاهر⁽⁶⁶⁾ وينسب أغلب ساكني الضفة الشرقية للنيل الأزرق(شرق النيل) الي قبائل الرفاعيين والمحس والعبدلاب. ذكر دكتور عون الشريف قاسم بأنهم من المحس من ناحية أمهم.⁽⁶⁷⁾ وأنهم ينتمون إلى جدهم أرباب العقائد وقال كان له سبعة أولاد وهم بساطي وعلي وقدح وحسن وحسين ومدني ومحمد الأمين آخر خليفة من أبنائه أمه مقوماً بنت علي ود أثير أيشقر وشيخ البشاقرة والرفاعيين.

هذه القبائل هي من مكونات الخريطة الديموغرافية لمنطقة البشاقرة شرق بالإضافة الي بعض القبائل التي نزحت إليها مثل الفادنية⁽⁶⁸⁾ والحلاويين والدناقلة والشوايقة ولكنها جميعها لم تحتفظ الا بالاسم حيث ذابت كل المكونات القبلية في منطقة البشاقرة وأصبح من الصعب التمييز بينها بقايا القبيلة. وربما هذه سمة تميز منطقة الجزيرة وأجزاء البطانة التي تشاطئ النيل الأزرق دون غيرها من مناطق السودان المترامية

يقدر عدد سكان البشاقرة شرق بحوالي 17 الف نسمة وتتوافر بها جميع الخدمات المدنية الصحية والتعليمية بمستوياتها المختلفة والتنمية وعلى ذكر تاريخ البشاقرة هناك معلومة جديرة بالمعرفة اوردها البروفسير ابوسليم في كتابه (تاريخ الخرطوم) ومن اقوي الروايات المتناقلة عنه اسم الخرطوم، وجد بوثيقة ترجع الي ايام السلطنة الزرقاء جاء فيها ان اسم الخرطوم ماخوذ من منطقة البشاقرة شرق التي تقع علي الضفة الشرقية للنيل الازرق وتحديدأ جزيرة صغيرة دايمة الخضرة تقع داخل مجري النيل الازرق الآن تستخدم كمرسى للبنطون الذي يربط البشاقرة

بالجزيرة المروية. حيث كانت هذه الجزيرة لسان يمتد من الشاطي الى داخل مجري النهر في شكل خرطوم، وكانوا يسمونها آنذاك بالخرطوم لانها تشابه خرطوم الفيل في شكلها. ومنها انتقل الاسم الي الخرطوم وإطلق عليها في ذاك الحين اسم (خرطوم البشاقرة).

الرواية في حقيقتها ذات قيمة تاريخية للباحثين في هذا المجال فهي موجودة بدار الوثائق القومية واما من ناحية صحة محتواها فتحتاج لمزيد من البحث والتدقيق .

كتاب تاريخ الخرطوم موجود بالمكتبات السودانية (مكتبة كلية الاداب جامعة الخرطوم) وكما هو معروف فان ابو سليم عالم في التاريخ اول مدير دار الوثائق القومية. فهذه الرواية تؤكد ان لبشاقرة تاريخ معروف وكذلك لها الفضل والسبق علي عاصمة السودان تاريخياً، وكذلك تورخ الرواية لبشاقرة وسمعتها آنذاك بين الناس، وحتى لو لم تكن المعلومة صحيحة (اي لم يات اسم الخرطوم من البشاقرة) فهذا لا ينفي القيمة التاريخية عن هذه الرواية. (69) وكذلك يمكن تأكيد صحة المرواية اذا ما علمنا ان اول من اسس مسجد بالخرطوم هو ارباب العقائد وهو احد ابناء منطقة البشاقرة غرب وهنا تجدر الاشارة الي الروابط القوية التي تربط بين البشاقرة شرق والبشاقرة غرب ومن الاسم يتضح حجم الترابط فالمنطقتين هما اسرة واحدة متفرقة علي جنبات النيل وليس فقط تشابه في اسماء.

كما ان هناك اسماء كثيرة تقارب اوتشابه اسم البشاقرة فهناك الشبارقة وعديد البشاقرة، وتقول الروايات المحكية ان جميع هذه اسماء ترجع الي احد الاجداد وهو علي الاشقر ابن رفاعة الطهطاوي:

تسلسل النسب من السيد رافع لأنه جد القبائل التي تسمي رفاعة واسمه رافع ابن السيد عامر بن السيد إسماعيل بن السيد إبراهيم القرين بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن السيد الحسين سيد الشهداء وابن السيد علي بن أبي طالب وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ). والسيد رافع هذا هو جد كل قبائل رفاعة هو والد حمد الذي توفي في أثناء مسيرة القبيلة في عتمور (أبو حمد) شمال بربر ولذلك سمي المكان باسمه. وخلف رافع ابنه حمد في زعامة الأسرة. (70)

عديد البشاقرة:

تقع قرية عديد البشاقرة في شمال غرب ولاية الجزيرة المعطاء. تبعد حوالي 7 كيلو من شارع مدني الخرطوم عند منطقة التكنية وترتبط بشارع ظلط فرعي اللعوتة أبوعشر، وترقد غير بعيدة عن شريط السكة حديد الواصل بين مدني والخرطوم، وتمتاز عديد البشاقرة بالمزايا الاجتماعية أهمها كرم أهلها وسهولة التعامل معهم وعظيم عشرتهم وحبهم للغير.

هذه القرية هي جزء من منطقة البشاقرة الكبرى والتي تتكون من سبعة قرى تسمى حلال البشاقرة السبعة وهي تلك القرى التي تفرعت منها البشاقرة الشرقية وتقع هذه المنطقة ما بين المسيد والكاملين بولاية الجزيرة ويرجع اسم البشاقرة إلى علي اب بشقر الجد الكبير لهم

وهي بطن من بطون قبائل رفاة مع خليط من المحس من أحفاد الشيخ حمد ود أم مريوم جدي لامي من ناحية أمها رحمهم الله الذين انتقلوا للمنطقة كما فعل غيرهم ولظروف مختلفة اجتماعية ودينية واعتقد أن جدودي للوالدة من ناحية أمها بخيطة بت أميلي رحلوا من توتي لنشر العلم والدين بين أهل المنطقة .. وكذلك أحفاد أرباب العقائد الذي هاجر من توتي إلى منطقة البشاقرة لنشر الإسلام وكذلك تزوج من رفاة بعد أن فقه المحس دينياً وعلمهم أمورهم الشرعية هاجر هجرته الثانية. إلى منطقة ليموت ودفن هناك بعد أن أكمل رسالته .. أما في البشاقرة فقد ترك أحد أبنائه هناك ليكمل مسيرة أبيه ويبقى إلى جانب أخوانه من أهل البشاقرة. وعند تأسيس مشروع الجزيرة تم توزيع الحواشات على الناس وبدأ بذلك التوافد إليها والاستقرار عندها. وقيل أن من أوائل سكانها جدي لامي أحمد عبد الله الملقب بود جبيرة رحمه الله وهو والد الخال الباقر صاحب ومؤسس صحيفة الخرطوم وعلى حسب الروايات المتداولة أن عديد البشاقرة قد سبق إنشاء المشروع وتوفر فيها المراعي الخصبة وتوجد فيها غابة اشتهرت بغابة سيدنا عثمان ود طلحة وهي غابة سنط جافة لا تصلح لمرعى وتزرع فيها الزراعة المطرية ومنطقة البشاقرات غنية بأهل العلم والمعرفة وتفوق في جميع المجالات العلمية والثقافية والسياسية كما وجدت فيها المدارس الأولية التي أنشأت في نهاية الأربعينات.⁽⁷¹⁾

الخاتمة:

بعد أن تجولنا في دراسة قبائل المحس في أواسط السودان نخلص مما سبق إلى أن قبائل المحس من أصل خزرجي وسكنوا شمال السودان ثم هاجروا إلى وسط السودان في القرن السادس عشر الميلادي وكان لهم دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي وتعمير الخلاوي، وظهر منهم قاعدة التعليم الديني وهم أول ما أوقدوا نار القرآن خاصة في العيلفون وجزيرة توتي وبري المحس وحلة حمد والبشاقرة الذي وجد فيها وثيقة تاريخية باسم الخرطوم مأخوذة من البشاقرة وهو أول من أسسوا مسجداً بالخرطوم ومن هذه القراءة توصل البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات وذلك على نحو ما يلي:

النتائج:

1. المحس وهي قبيلة من القبائل السودانية التي تسكن شمال السودان وهي ذات أصل خزرجي ينتسبوا إلى أبي بن كعب الأنصاري .
2. هاجر المحس من الشمال إلى وسط السودان لعدة أسباب منها عدم الأمان وضيق الأراضي الزراعية.
3. وكان لهم دوراً كبيراً في نشر تعليم الدين الإسلامي في وسط السوداني.
4. ومن الذين هاجروا من الشمال إلى أواسط السودان وهو أرباب العقائد وخوجلي أبو الجاز وحمد ود أم مريوم والشيخ إدريس الأرباب.
5. واستقر المحس في توتي والخوجلاب وحلة حمد والعيلفون والبشاقرة شرق.

التوصيات:

1. يوصي الباحث الباحثين في التبحر في مجال تاريخ القبائل السودان وذلك بغرض المعرفة والإلمام بعبادات وتقاليد القبائل السودانية.
2. ضرورة الاهتمام بالبحث العلمي الذي يهتم بالتراث السوداني.
3. ضرورة إثراء المكتبة الجامعية بالمعلومات القيمة التي تفيد الباحثين في كتابة البحث العلمي.
4. ضرورة توفير المراجع والمصادر السودانية بالجامعات.
5. معرفة دور قادة التعليم الديني في نشر الإسلام في أنحاء السودان.

الهوامش:

- (1) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ المحس، المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1983م، ص 1
- (2) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة سنيت 2018م، ص 11.
- (3) ريتشارد لوبان، المرجع السابق، ص 4.
- (4) عبد اللطيف المشرف خليفة، عتبات من تاريخ مدينة البراري، السودان، ط2- الأولى، تاريخ النشر، 2017م، ص 32.
- (5) ريتشارد لوبان، المرجع السابق، ص 10.
- (6) المرجع السابق، ص 12.
- (7) بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1983م، ص 12.
- (8) العنج هم قبائل يسكنون جنوب النيل الأزرق ودخلوا الإسلام وانضموا لدولة الفونج.
- (9) ريتشارد لوبان، المرجع السابق، ص 4.
- (10) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، تاريخ مدينة العليفون درة شرق النيل، السودان دار عزو للنشر والتوزيع، 2011م، ص 10.
- (11) الشرف عبد اللطيف المشرف خليفة، المرجع السابق، ص 15.
- (12) ريتشارد لوبان، المرجع السابق، ص 17.
- (13) ريتشارد لوبان، المرجع السابق، ص 18.
- (14) المرجع السابق، ص 20.
- (15) الشرف عبد اللطيف المشرف خليفة، المرجع السابق، ص 3.
- (16) الشرف عبد اللطيف المشرف خليفة، المرجع السابق، ص 14.
- (17) عزه حسن أحمد خوجلي، بين توتي والصافية، السودان، الخرطوم، 2021م، ص 88.
- (18) عزه حسن أحمد خوجلي، المرجع السابق ص 90.
- (19) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي السودان، مطبعة بسنين، 2017م، ص 21.
- (20) المرجع السابق، ص 27.
- (21) المرجع السابق نفسه، ص 28.
- (22) ريتشارد لوبان، المرجع السابق، نسب وتاريخ محس المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1943م.
- (23) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، مرجع سابق، ص 30.
- (24) قاسم عون الشريف، القبائل والأنساب في السودان، الناشر ع الش قاسم، 1996م، ص 121.
- (25) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ محس المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1943م، ص 1.
- (26) ريتشارد لوبان، المرجع السابق، ص 10.

- (27) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ محس المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1943م، ص 21.
- (28) ريتشارد لوبان، مرجع سابق، ص 30.
- (29) المشرف عبد اللطيف المشرف، عتبات من تاريخ مدينة البراري، السودان ج، ح، 1963م، ص 149.
- (30) ريتشارد لوبان، مرجع سابق، ص 34.
- (31) المرجع السابق، ص 33.
- (32) المرجع نفسه، ص 30.
- (33) المشرف عبد اللطيف المشرف، عتبات من تاريخ مدينة البراري، السودان ج، ح، 1963م، ص 29.
- (34) المرجع السابق، 1963م، ص 30.
- (35) المشرف عبد اللطيف المشرف، عتبات من تاريخ مدينة البراري، السودان ج، ح، 1963م، ص 150.
- (36) المشرف عبد اللطيف المشرف، عتبات من تاريخ مدينة البراري، السودان ج، ح، 1963م، ص 151.
- (37) أبو القاسم عثمان الطيب، الجريف شرق، الخرطوم، الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة العربية، ط الأولى، 2005م، ص 23.
- (38) جعفر حسن حمزة إبراهيم، الجريق شرق تاريخ وعلاقات، السودان، الخرطوم، ط الأولى، 2010م، ص 62.
- (39) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ محس المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1983م، ص 100.
- (40) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة بسنين، 2017م، ص 134.
- (41) المرجع السابق، ص 135.
- (42) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، المرجع السابق، ص 135.
- (43) المرجع السابق، ص 136.
- (44) جعفر حسن حمزة إبراهيم، الجريف شرق تاريخ وعلاقات، السودان، الخرطوم، ط الأولى، 2010م، ص 62.
- (45) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، المرجع السابق، ص 140.
- (46) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة بسنين، 2017م، ص 127.
- (47) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ محس المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1983م، ص 111.
- (48) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة بسنين، 2017م، ص 129.
- (49) المرجع السابق، ص 130.

- (50) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة بسنيت، 2017م، ص 131.
- (51) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة بسنيت، 2017م، ص 132.
- (52) المرجع السابق، ص 133.
- (53) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة بسنيت، 2017م، ص 135.
- (54) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، تاريخ مدينة العليفون دور شرق النيل، السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، 2011م، ص 7.
- (55) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، المرجع السابق، ص 9.
- (56) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، المرجع السابق، ص 10.
- (57) أبو القاسم عثمان الطيب، عقد الدر من ود حسونة إلى ود بدر، السودان، 1402هـ، ص 33.
- (58) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، المرجع السابق، ص 11.
- (59) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ محس المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1983م، ص 120.
- (60) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، المرجع السابق، ص 13.
- (61) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، مرجع سابق ص 14.
- (62) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ محس المدن الثلاثة في السودان، مرجع سابق، ص 121.
- (63) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، المرجع السابق، ص 17.
- (64) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، المرجع السابق، ص 27.
- (65) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، المرجع السابق، ص 32.
- (66) عبد الرحمن الحلاوين حواضر الرفاعيين، سودانايل، 12 H.parbyy.com، 2018م.
- (67) عون الشريف قاسم، القبائل والأنساب في السودان، السودان عون الشريف قاسم، 1996م، ص 121.
- (68) عبد الرحمن الحلاوين حواضر الرفاعيين، سودانايل، 12 H.parbyy.com، 2018م.
- (69) عبد الرحمن الحلاوين حواضر الرفاعيين، سودانايل، 12 H.parbyy.com، 2018م.
- (70) عبد الرحمن الحلاوين حواضر الرفاعيين، سودانايل، 12 H.parbyy.com، 2018م.
- (71) عثمان يوسف خليل، شيء من دفتر الطفولة، سودانايل، Hsudaress.con، 4، 2021م.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- (1) أبو القاسم عثمان الطيب، الجريف شرق، الخرطوم، الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة العربية، ط الأولى، 2005م.
- (2) جعفر حسن حمزة إبراهيم، الجريق شرف تاريخ وعلاقات، السودان، الخرطوم، ط الأولى، 2010م.
- (3) ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ المحس، المدن الثلاثة في السودان، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي، السودان، 1983م.
- (4) عبد الرحمن الحلاوين حواضر الرفاعيين، سودانايل، 12 H.parbyy.com، 2018م.
- (5) عبد اللطيف المشرف خليفة، عتبات من تاريخ مدينة البراري، السودان، ط2- الأولى، تاريخ النشر، 2017م.
- (6) عبد الوهاب أحمد المدني الصافي، صفحات من تاريخ توتي، السودان، مطبعة سنيت 2018م.
- (7) عزه حسن أحمد خوجلي، بين توتي والصافية، السودان، الخرطوم، 2021م.
- (8) علي الفكي الحبر الخليفة بركات، تاريخ مدينة العليفون درة شرق النيل، السودان دار عزو للنشر والتوزيع، 2011م.
- (9) قاسم عون الشريف، القبائل والأنساب في السودان، السودان، الناشر ع الش قاسم، 1996م.